الفصل الثانى

الاتجاهات العامة للنمو الحركى فى الطفولة المبكرة

للمواليد الجديدة عامة حساسية عالية للتغيرات التى تطرأ على الوضع المكانى لاجسامهم ، فلو أن الرضيع حمل ورأسه الى اعلى ، أو سقط بعد ان كان فى وضع الجلوس ، او هززناه كثيرا لوجدناه يقوم بتعديل عام لوضعه • كذلك يقوم المواليد الجدد بحركات « خطو » تبادلية اذا ثبتوا فى وضع القائم بحيث تستقر اقدامهم على سطح مستو ، وهذه الاستجابات الهامة تكشف عن ان الرضيع يستجيب للتنبيه الصادر عن اعضاء الحس الموجودة فى عضلاته ، وفى القنوات نصف الهلالية بالاذن (وهى الاعضاء المختصة بحفظ توازنه) (١) •

فالحركة مظهر قوى من مظاهر نمو الطفل ، وهى تستهلك الطاقة المخزونة فى انسجة الجسم وخاصة فى العضلات ، كما ان الحركات العضلية نفسها تؤدى الى تعويض الطاقة المستنفذة ، والا تنقطع هذه العملية الدورية الا بموت الكائن الحى •

وتتضمن قدرات الوليد الحركية

(أ) حركات اندفاعية عشوائية تنشأ من دوافع لا شعورية مثل الاضطرابات الخاصة ، والتشنجات وحركات بسط الذراعين وطيها • وهذه الحركات لا تحقق اهدافا نوعية ، ولابد من جهد طويل من التنظيم والتمايز حتى يستطيع الوليد التحكم فيها وتوجيهها لتحقيق غاياته •

د / جابر عبد الحميد سنة ١٩٧٠ سيكلوجيه الطفولة والشخصية دار النهضة العربية •

(ب) ردود افعال منعكسة تشمل حركات تلقائية للدفاع عن الجسم ، والقبض على الاشياء ، وهى تعمل بطريقة فوضوية ، ولكنها فى جملتها وسائل تلائم ناقصة ممكن تهذيبها بالممارسة والتدريب للتخلص من الزائدة منها حتى تقتصر الممارسة على جهد العضلات المناسب لكسب المهارة المطلوبة لاداء العمل ٠

(جـ) ردود افعال فطرية تتضمن دوافع كامنة فى اعماق الفرد يحاول بها تحقيق ذاته ٠ ولكن هذه الدوافع الكامنة لا يمكن ان تتحول من حالة الكمون الى حالة النشاط الا بفضل شرطين أساسيين : ـ

أ) النضوج الفسيولوجى للمراكز العصبية ٠

ب) وجود مؤثرات بيئية تكون موضع اشباع هذه الدوافع ٠

ويمكن ان تكون الحركة نفسها فى شكلها الظاهرى منعكسة أو ارادية : فاذا وضعت اصبعى على سطح ساخن جدا ارتدت يدى بسرعة وتكون الحركة فى هذه الحالة منعكسة ٠ ولكن يمكنى سحب يدى بمجرد لمس سطح معتدل الحرارة ٠ وفى هذه الحالة تكون الحركة ارادية ٠ وبذلك نجد ان الشكل الظاهرى للحركتين واحدا ولكن الفرق بينهما يكمن فى اختلاف المراكز العصبية المحركة التى تنبهت : فالتنبه فى الحالة الاولى هو احساس بالحرارة، اما الحالة الثانية أمر داخلى معنوى هو فكرة القيام بهذه الحركة ٠ ويكفينا ان نسجل ان للتصورات الذهنية ميلا داخليا الى أن تتحقق فى صورة الحركة التى يتمثلها الذهن ٠ وهذا الميل يعرف بالقوة الفكرية المحركة ٠

ومراكز الافعال المنعكسة مرتبة ترتيبا تصاعديا فى النخاع الشوكى ، والنخاع المستطيل وبعض النوى الدفاعية الموجودة مباشرة تحت اللحاء ومن اهمها : التلاموس والجسم المخطط الذى هو مركز الافعال المنعكسة المتآزرة لحركات المشى الآلى (٢) ٠

---

(١) د ٠ يوسف مراد ـ ١٩٧٠ ـ علم النفس العام ـ دار المعارف ٠

(٢) نفس المرجع ٠

اما الحركات الارادية فلا تتم الا بتنشيط المراكز الموجودة فى القشرة الدماغية او اللحاء • وهذه المراكز تسيطر الى حد كبير على المراكز السفلى وهذا ما يفسر لنا عملية المنع او الكف •

وليست جميع الافعال المنعكسة مصحوبة بالشعور : مثل الحركات التى تعترى حدقة العين عندما تتغير شدة الضوء ، او تعترى العدسة البلورية عند نقل النظر من شىء قريب الى شىء بعيد او بالعكس • كذلك هناك بعض الافعال المنعكسة التى لا تخضع للقوة الارادية وتكون فى العادة لا شعورية مثل حركة الاحشاء التابعة للجهاز السمبثاوى •

وعندما تتم عملية النضج الفسيولوجى يصبح الجهاز العصبى متكاملا• وتتلخص صفة التكامل هذه فى عملية التآزر والتضامن من جهة ، وفى عملية الائتمار من جهة اخرى ، اى خضوع بعض المراكز السفلى لسلطة المراكز العليا ، واسمى هذه المراكز اللحائية تلك التى تشرف على الحركات الارادية• ولا تتسق هذه الحركات ولا تتآزر فى الجهات التى تعينها التنبيهات ، سواء الخارجية منها او الداخلية ، الا بفضل تكامل الجهاز العصبى •

والجدير بالذكر ان عملية التكامل تمر بمراحل معينة وتتم بدون ان يكون لعوامل التمرين والتدريب اثر يذكر فيها • فالكائن الحى مزود بحكم تركيبه الفسيولوجى بمجموعة من الآليات تمكنه من أن يواجه مطالب بيئته الطبيعية بنجاح ، وسلوكه ازاء هذه المطالب هو سلوك غريزى • ولما كانت البيئه التى يعيش فيها الكائن بيئه مركبة ، متطورة ، ومتشعبة النواحى ، فلا يلبث الكائن ان يشعر بالحاجة الى التعليم والى ان يزيد الآليات الفطرية دروبا جديدة من الآليات ، هى الحركات التعودية المكتسبة التى تقوم بالوظيفة نفسها التى تقوم بها الافعال الغريزية لدى الحيوانات السفلى (١) •

الاتجاهات العامة للنمو الحركى فى الطفولة المبكرة :

تعكس تطورات النمو الحسى الحركى التى تحدث خلال السنة الاولى من حياة الوليد اتجاهات عامة : ـ

---

(١) نفس المرجع السابق •

١ ـ الاتجاه الطولى والمستعرض الذى يتضح من حركات الرأس وتثبيت العينين والتآزر بين اليد والعين ، ويظهر مبكرا بصفة نسبية بينما المشى والوقوف يتأخر بعض الشىء ٠

كذلك تتمكن الاطراف والعضلات التابعة للجزء الاعلى من جسم الطفل من أداء وظائفها قبل ان تتمكن من ذلك الاطراف السفلى ٠ وفى المشى نجد ان التآزر اللائق السليم بين الاذرع يسبق تآزر الساقين ٠

٢ ـ يتبع تقدم تطور استجابات الطفل الحركية خلال عامة الاول اتجاها من الداخل الى الخارج او من القريب الى البعيد ، اى من المركز الى منطقة الاطراف بحيث نجد عند اتجاه الطفل الى الاشياء للقبض عليها والامساك بها أن الكتفين والكوعين تستخدم من قبل ان يستخدم الطفل الرسغ والمعصم والاصابع ٠

كذلك تتم السيطرة على الجزء الاعلى من الذراع والجزء الاعلى من الساقان قبل السيطرة على الاجزاء السفلى من الذراعين والرقبة والايدى والاقدام ٠

٣ ـ ويتميز تقدم نمو الطفل الحركى بالاتجاه من العضلات الغليظة الى الدقيقة بمعنى ان الحركات الاجمالية التى تحدث عند قبض الطفل على الاشياء فى أول ـ مراحل نموه تحل محلها حركات اكثر دقة صادرة عن الابهام والسبابة ٠ ويبدأ التوافق الحركى بين العضلات الكبرى ثم يستطرد منها الى العضلات الصغرى ، ولذلك تتميز كتابة الطفل ، فى بداية تعلمه ، بضخامة حروفها ثم تتطور مع تطور مراحل نمو الطفل الحركى حتى تصل الى الحروف الدقيقة ٠

٤ ـ ويسير تقدم النمو الحركى للصغير من الاتجاه العام الى الخاص ٠ فنلاحظ ان تنقل الطفل يكون فى أول الامر مصحوبا بحركات جسمية زائدة عن الحاجة لا تلبث بعد ذلك ٠ ان تتناقص بالتدريج حتى ينتهى الأمر الى ان يقتصر النشاط الحركى على العضلات ، والاطراف المناسبة فقط ، ولهذا نلاحظ عادة ان الطفل يحرك قدمية وساقية ويخرج لسانه ، ويزم

شفتيه ، ويضغط باصابعة ، ويديه عندما يحاول ان يتعلم الكتابة لاول مرة فى حياته ، ثم ينتهى به الامر الى اتقان هذه المهارة عندما ينضج التوافق الحركى القائم بين العين ومعصم اليد وساعدها واصابعها • وهكذا يتميز بدء تكوين المهارات الحركية عند الطفل ببذل طاقه زائدة عن الجهد اللازم لكسب المهارة • وقد يجد هذا الجهد منفذا له فى اعضاء الجسم الاخرى فيؤدى الى توتر أو الى حركة عضلات لا دخل لها بكسب المهارة •

ولهذا تهيء دور الحضانة الفرص المناسبة للطفل لينفق طاقته الزائدة فى لعبه وعدوه ، قبل ان تلزمه بالهدوء والسكون ، ولنفس السبب تسبق مرحلة التعبير الحركى الحر ، مرحلة التعبير الحركى المقيد •

٥ ـ ويسير تقدم النمو الحركى للوليد من التجانس الى التباين • فالوليد مخلوق متجانس تجانسا ازدواجيا فى مظهره الخارجى وفى حركات اعضائه وبمقارنة نصف جسمه الأيمن بنصفه الأيسر ندرك هذا التجانس : فالطفل يحرك ـ يده اليمنى بنفس السرعة والقوة والسهولة التى يحرك بها يده اليسرى •

هذا وقد دلت أبحاث ليدر (١) على ان تفضيل الطفل لاستخدام احدى يديه يبدأ من السنة الأولى من حياته ، وان عدد الذين يفضلون استخدام اليد اليسرى يكاد يساوى عدد الذين يستخدمون اليد اليمنى ، وخاصة فيما بين ستة اشهر وسنة من الميلاد ، ثم يختل هذا التوازن فيفضل اغلب الاطفال استخدام اليد اليمنى •

وقد بين جونز (٢) ان استخدام اليد اليمنى فى مرحلة ما قبل المدرسة يتزايد بالتدريج مع تقدم الطفل فى السن ، غير ان بحوثه لم تثبت أو تنفى بطبيعة الحال عامل الوراثة أو عامل التعليم فى تفضيل استخدام احدى اليدين على الاخرى •

---

(١) Ledere L.K. 1939 An ex Ploratatry investig ation of Handed Stotus in the first two yeors of life.

(٢) Yones. H.E. 1951 Dextrality as o fonction of age journal of experiment al psychology.

ولقد تعرض بلاو للمحاولات التى يبذلها المدرسون بقصد تدريب الاطفال على استخدام اليد اليمنى ، وهو يعتقد ان الاطفال يلجأون الى العسر أحيانا كوسيلة لتسجيل مقاومتهم للضوابط الاجتماعية واليدوية والانفعالية . ولا يرى اى خطر فى اعادة تعويد هؤلاء الأطفال على استخدام اليد اليمنى ، ويؤكد على اهمية الطريقة التى يتم بها هذا التغيير وليس التغيير فى حد ذاته .

***

obeikandl.com